﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن حذّر المؤمنين من موالاة اليهود والنّصارى، ثمّ بيّن أنّ ذلك منَ الظّلم العامّ للنّفس وللمجتمع، وما يترتّب عليه من غضب الله تعالى ذكر حال المُنافقين لبيان شبه موالاة هؤلاء، وأنّ الرّابط بين الفريقين هو أمراض القلوب، وأهواء النّفوس. فالآية بمثابة بيان الصّحيح الإيمان من مغشوشه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دَآئِرَةٌ﴾: جذر الكلمة هو (دور): الدّوّاريُّ: الدّهرُ الدّوّار بالنّاس، والدّهر بالإنسانِ دَواريٌّ. ويُقال: دار دورةً واحدة، وهي المرَّة الواحدة يدورها. والدَّور: قد يكون لوثًا واحدًا من دور العمامة. والدُّوارُ: أن يأخُذَ الإنسان في رأسه كهيئة الدَّوران، تقول: دِيرَ به، أي: غُشِيَ عليه[1]. وقال أبو عبيدة في قول تعالى: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: 52]، أي: دولة، والدّوائر تدور، والدّوائل تدول[2]. والدّورة والدّائرة في المكروه، كما يُقال: دولة في المحبوب، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التّوبة: 98]، وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التّوبة: 98] و[الفتح: 6]، أي: يحيط بهم السّوءُ إحاطة الدّائرة بمن فيها، فلا سبيل لهم منَ الانفكاك منه بوجه[3]. ودائرةٌ هنا معناها: نازلة منَ الزّمان، وحادثة منَ الحوادث تحوجنا إلى موالينا منَ اليهود، وتسمّى هذه الأمور دوائر على قديم الزّمان من حيث اللّيل والنّهار في دوران، فكأنّ الحادث يدور بدورانها حتّى ينزل فيمن نزل[4].

(1) الخليل، العين: (دور).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (دور).
(3) الرّاغب، المفردات: (دور).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/204.

2) ﴿أَسَرُّواْ﴾: جذر الكلمة هو (سرر)، السِّرُّ: ما أَسرَرتَ. والسَّريرة: عمل السِّرِّ من خير أو شرّ، ويُقال: سَريرته خيرٌ من علانيته[1]. سرّ الحديث، واستسرّ الأمر: خفي، ووقفتُ على مُستسرّه[2]. وأسرَرتُ الشيءَ: أظهَرتُه، وأسرَرتُه: كَتَمتُه، قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾ [يونس: 54][3]. فهو منَ الأضداد، سرَرتُه: كتمتُه، وسَرَرتُه: أعلنتُه، والوجهان جميعًا يفسّران قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾، قيل: أظهروها، وقال ثعلب: معناه أسرّوها. وأسرّ إليه حديثًا، أي: أفضى[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الآية تبيّن حال المنافقين في موالاتهم أهل الكتاب والمشركين، إذ يبادرون في معاونتهم ومعاقدتهم وولايتهم، معلّلين الموالاة بقولهم: نحتاج إلى نصرتهم لنا، لذلك نتّخذ يدًا عندهم في السّراء ننتفع بها إذا مسّتنا الضّرّاء، فيخشون أن تدول الدّولة لليهود أو للمشركين على المؤمنين[5]؛ لأنّهم غير موقنين بوعد الله بنصرة رسوله، وإظهار دينه، فردّ الله تعالى عليهم بتقرير نصر المؤمنين، واستئصال شأفة اليهود الّذين يوالونهم، وحينئذٍ يصبح المنافقون نادمين على ما حدّثوا به أنفسهم؛ وذلك أنّهم كانوا يشكّون في أمر رسول الله ﷺ، ويقولون: ما نظنّ أن يتمّ له أمر، وبالحرى أن تكون الدّولة والغلبة لهؤلاء[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

تنوّع المراد بالفاء (للسَّببيّة أو للتّرتيب والتّعقيب أو للتّفريع):

"الفاء للإيذان بترتّبه على عدم الهداية، وهي للسّببيّة المحضة"[7]. وجوّز الكرخيّ كونها للعطف على قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ إلى آخر الآية من حيث المعنى، فتكون للتّرتيب وللتّعقيب، والواضح أنّها عاطفة ما بعدها على ما قبلها عطف ترتيب وتسبيب، أي: فتسبّب عن أنّ

(1) الخليل، العين: (سر).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (سرر).
(3) الخليل، العين: (سر).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سرر).
(5) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/227.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/643.
(7) الآلوسّي، روح المعاني: 3/325.

اللّه لا يهدي متولّيهم أن ترى (الّذين في قلوبهم...)، والخطاب إمّا للرّسول ﷺ بطريق التّلوين، وإمّا لكلّ من له أهليّة.

والفاء أيضًا تفريع لحالة من موالاتهم أريد وصفها للنّبيّ ﷺ؛ لأنّها وقعت في حضرته.

أمراض القلوب تنعكس أعراضها على تفاصيل الحياة كلّها فتعيق فيها الرّقيّ والانسجام

وفائدته بيان أنّ الموالاة هي نوع وصنف من صنوف الأمراض القلبيّة؛ إذ تكشف الآية حالة القلب الّذي يلجأ صاحبه إلى موالاة اليهود والنّصارى؛ أنّه قلب مريض.

إيثار اسم الموصول (الّذين) على ضمير القوم، وإيثار كلمة (في) على كلمة (إلى):

التّسارع نحو ما يراه النّاس ضمانات الدّنيا هي في حقيقتها زوال حتميّ لقيمهم الإنسانيّة فيها

والإتيان بالموصول دون ضمير القوم ليشار بما في حيّز الصّلة إلى العلّة، والسّبب في مرتكبهم، والرّؤية إمّا بصريّة، وقوله تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ حال منَ المفعول، وهو الأنسب بظهور نفاقهم، وإمّا قلبيّة، والجملة في مَوضِع المفعول الثّاني، والمراد على التّقديرين (مسارعين في موالاتهم) إلّا أنّه قيل (فيهم) مبالغة في بيان رغبتهم فيها، وتهالكهم عليها.

وإيثار كلمة (في) على كلمة (إلى)؛ للدّلالة على أنّهم مستقرّون في الموالاة، وإنّما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها[1]، وفي الحرف استعارة "لأنّ المسارعة لا تكون في الذّوات، فالمعنى: يسارعون في شأنهم من موالاتهم أو في نصرتهم[2] أو "في نصرتهم وتأنيسهم وتجميل ذكرهم[3]. والاستعارة إمّا في معناه، وإمّا في مدخوله حيث شبّه ذوات اليهود بمظروف، وشبّه المنافقين في مسارعتهم في موالاتهم بمَن يسارع في الدّخول في مظروف، وفي هذه الاستعارة تجسيدٌ لحبّ المنافقين موالاة اليهود واعتقادهم

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/48.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/232.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 2/204.

أنّهم يحمونهم حماية الظّرف مظروفه، وهي استعارة كاشفة عن شدّة الموالاة.

سرّ التّعبير بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾:

النّفاق أخطر وأخفى أمراض القلوب

هذا أسلوب اقتصاص حيث عبّر بالكلمة الّتي صارت علمًا على المنافقين، ولفظ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ صار علمًا على المنافقين، وذكره هنا يستدعي في الذّهن كلّ صفات المنافقين في الذّكر الحكيم، وقد "أطلق عليه مرض؛ لأنّه كفر مفسد للإيمان[1]، وهذا اللّفظ قام مقام كلّ ما ورد في القرآن الكريم عنِ المنافقين، وفي أسلوب الاقتصاص إيجاز بليغ.

دلالة تتابع المضارع في قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾:

التّسارع في ارتكاب المعاصي مثال حيّ على خلوّ القلوب منَ الإيمان

وردَت ثلاثة أفعال مضارعة متوالية تدلّ على التّجدّد والاستمرار، وتدلّ كذلك على شديد الرّغبة في النّفاق، والخروج من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر.

وقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾؛ يرغبون في موالاتهم، ويتسابقون نحوهم، ويعتذرون عن ذلك للمؤمنين بأنّهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزّمان، فيحتاجون إليهم، وإلى معونتهم[2].

دلالة القيد بالحال، وتضمّنه استعارة وكناية في قوله: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾:

المنافقون يبالغون في تجسيد العذر وتأكيده؛ تعليلًا لفضائحهم

وقعتِ الجملة حالًا منَ الضّمير في (يسارعون)، أي: يسارعون قائلين، ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ قولًا نفسيًا؛ أي: يقولون في أنفسهم، فالدّائرة المخشيّة: هي خشية انتقاض المسلمين على المنافقين، فيكون هذا القول منَ المرض الّذي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/231.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/643.

في قلوبهم[1]، ويمكن أن يكون قول لسان؛ لأنّ عبد الله بن أبيّ بن سلول قال ذلك، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، وبحسب ما رُوي عن عطيّة الحوفيّ والزّهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة أنّ الآية نزلَت بعد وقعة بدر، أو بعد وقعة أُحد، وأنّها نزلَت حين عزم رسول الله ﷺ على قتال بني قينقاع، وكان بنو قينقاع أحلافًا لعبد الله بن أبيّ بن سلول ولعبادة بن الصّامت، فلمّا رأى عبادة منزع رسول الله ﷺ جاء فقال: يا رسول الله إنّي أبرأ إلى الله من حِلف يهود وولائهم، ولا أوالي إلاّ الله ورسوله، وكان عبد الله بن أبيّ حاضرًا فقال: أمَّا أنا فلا أبرأ من حلفهم فإنّي لا بدّ لي منهم إنّي رجل أخاف الدّوائر[2]، فتكون الآية قد كشفت أسرار نفوسهم، وما يقولونه، فتكون آية لهم على ما يخبّئون في أنفسهم، وقيدها بالحال فضح لما ستروه حتّى صارت فضيحتهم قرآنًا يتلى، كما أنّ حكاية معنى قولهم: (أن تصيبنا دائرة) كشف لتمنّيهم زوال الإسلام ونهايته، ويدلّ لفظ (دائرة) على خوفهم منَ الزّوال التّامّ والنّهاية المحيطة بالإسلام، ففي التّعبير كناية عن صفة، وهي الهلاك التّامّ، وفي اصطفاء الكناية تعبيرًا عن علّتهم في المسارعة في اليهود تناسُبٌ مع حالهم في إقناع نفوسهم بأنّهم على الحقّ.

وقدِ اجتمعتِ الاستعارة مع الكناية، فقد استُعيرَت لنوائب الزّمان بملاحظة إحاطتها، و(دائِرَةٌ) معناها: نازلة منَ الزّمان، وحادثة منَ الحوادث تحوجنا إلى موالينا منَ اليهود، وتسمّى هذه الأمور دوائر على قديم الزّمان من حيث اللّيل والنّهار في دوران، فكأنّ الحادث يدور بدورانها حتّى ينزل فيمن نزل[3]، وذلك على سبيل الاستعارة، والمعنى: نخشى أن تُصيبنا نازلة أو مُصيبة تحيط بنا كما تحيط الدّائرة بمحورها، وفي كلّ ذلك تجسيد للعذر، وقوله: ﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ اكتفاءٌ؛ إذ لم يقل: (تصبنا دائرة السّوء)؛ فاكتفى بذلك على أنّ معنى الدّائرة إنّما يكون في قضايا السّوء، وقرينة ذلك أيضًا قوله: (تُصِيبَنَا)، والإصابة وردَت في القرآن في القوّة وتغيير الحال[4]، وكثُر ورودها في السّوء، مثل قوله: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ [البقرة: 264]، وقوله: ﴿فَأَصَابَهَآ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/232.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/232.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 2/204.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/643.

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: 266]، وقوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ [النّحل: 34].

ذكر الرّجاء في موضع التّأكيد في قوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾:

بشارة المؤمنين خير معين لهم في مواجهة الأزمات

في اقتران الجملة بالفاء إلماع إلى سرعة حصول النّصر، وتحقّق البشارة، و(عسى) منَ الله واجبة[1]، وإنّما عبّر بها لإبراز المتيقّن في صورة المرجوّ الوقوع؛ لأنّ العاقل إذا جوّز وقوع أمر فطن له، وقد ردَّ الله تعالى عليهم عللَهُم الباطلة، وقطع أطماعهم الفارغة، وبشّر المؤمنين بحصول أمنيتهم بقوله سبحانه: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾؛ فإنَّ (عسى) منه ﷻ وعد محتوم، لما أنّ الكريم إذا أطمع أطعم، فما ظنّك بأكرم الأكرمين، والمراد بالفتح فتح مكّة، كما روي عنِ السُّدّيّ، وقيل: فتح بلاد الكفّار، واختاره الجبائيّ، وقال قتادة ومقاتل: هو القضاء الفصل بنصره ﷺ على مَن خالفه، وإعزاز الدّين[2].

وفي قوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ إذ لو لم يصرّح لعُلم أنّه من عنده، ولكنّه أوغل بذكر ذلك لفائدة مهمّة: هي الضّمان، وتوكيد حدوث الأمرين الفتح والأمر، وبثّ السّكينة في قلوب المؤمنين بترقّب عظيم ما يتضمّنه وعد الله تعالى منَ النّصر والخير.

دلالة (أو) على التّقسيم في قوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾:

يظهر أنّ هذا التّقسيم إنّما يعني أنّ الفتح الموعود به هو ممّا ترتّب على سعي النّبيّ وأصحابه، وسبب جدّهم وعملهم، فوعد الله تعالى إمّا بفتح يقتضي تلك الأعمال، وإمّا بأمر من عنده يهلك أعداء الشّرع، هو أيضًا فتح لا يقع للبشر فيه تسبّب[3]. وقيل ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: أو أن

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 2/204.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 3/324.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/293.

يؤمر النّبيّ ﷺ بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم. وقيل: أو أمر من عند الله لا يكون فيه للنّاس فعل كبني النّضير الّذين طرح الله في قلوبهم الرّعب، فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب[1]. ومع تنوّع هذه التّفسيرات للعبارة القرآنيّة؛ فإنّها قد أصبحت مثلًا جاريًا على ألسنة النّاس؛ إذ لا يقتصر الفتح والأمر الموعود منَ الله تعالى على حالة محدّدة؛ بل هو استعارة تمثيليّة يجري فيها المثل على حوادث الدّهر المماثلة والمشابهة للحادثة الّتي كانت سببًا في نزول الآية، فما أجدر أن يكون ذلك الأمر إشارة إلى فتوح الإسلام العظيمة للشّرق والغرب، والّتي جاءَت بعد فتح مكّة! فيكون المعنى: فعسى الله أن يأتي بفتح مكّة، وفتوحات القرى والبلدان بعدها، وليحقّق قول الله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92] و[الشّورى: 7].

الكناية عن إظهار النّفاق وكشفه: ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾:

في القول الكريم "كناية عن إظهار النّفاق الدّائر في قلوبهم ونفوسهم نادمين؛ لأنّ المنافقين لمّا رأوا من أمر بني قريظة والنّضير ندموا على ما قالوا[2].

فضح المنافقين بظهور النّدم على ما كتموه فيه زيادة بشارة للمؤمنين

وهو عطف على (يَأتِيَ) داخل معه في حيّز خبر عسى، وفاء السّببيّة لجعلها الجملتين كجملة واحدة، مغنية عنِ الضّمير العائد على الاسم، والمراد: فيصيروا على ما أَسرُّوا في أَنفسهم منَ الكفر والشّكّ في أمر النّبيّ ﷺ، وقوله: ﴿نَٰدِمِينَ﴾ خبر (يصبح)، وبه يتعلّق (عَلى ما أَسَرُّوا) وتخصيص النّدامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما أنّه الّذي كان يحملهم على تلك الموالاة ويغريهم عليها، فدلّ ذلك على أنّ ندامتهم على التّولّي بأصله وسببه[3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/643.
(2) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/398.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 3/324.

دلالة الطّباق الخفيّ بين (يصبحوا) و(أسرّوا):

التّحذير بأنّ ما يسرّ منَ الشّرّ في السّتر يفضح في العلن

"خصّ الإصباح بالذّكر؛ لأنّ الإنسان في ليله مفكّر، فعند الصّباح يرى الحالة الّتي اقتضاها فكره[1].

وفي الإصباح والإسرار طباق خفيّ، وطباقه الظّاهر يصبحوا ويمسوا، لكنّه بيّن أنّ الإسرار ملازم للإمساء، وهذا طباقٌ فائدته: الكشف عن خبايا نفوسهم، وما يسرّون على سبيل السّرعة.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/204.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»